دوافع المستشرقينللطعن في الإسلام

د.علي إدريس الشين*

المستخلص:

للمستشرقين دوافع عديدة وكل هذه الدوافع تهدف إلى الطعن في الإسلام ومهما اختلفت أساليبها ووسائلها وتتابعت أشكالها. تعلم المستشرقون اللغة العربية لفهم القرآن الكريم والسنة المطهرة ولكن غرض من ذلك كان تشكيك المسلمين في دينهم وفي رسولهم الأمين المبعوث رحمة للعالمين.

Abstract

This study entitled "Motives of the Orientalists against Islam" explores the negative motives and purposes of the orientalism against Islam. The Orientalists made great efforts to distort Islam through implementing different means. To achieve that , the study used the historical descriptive and analytical methodology. The major findings shows the necessity of continuous work to unveil the work against Muslim to grow doubtfulness towards their religion and distort the image of Islam for non –Muslim lest they should embrace Islam .

*جامعة الإمام المهدي كلية الآداب

المقدمة:

الحمدلله رب العالمين والصلاة السلام على رسوله الله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد، يقول الله سبحانه تعالى وهو أصدق القائلين "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"[1]. فقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ الدين القويم من كيد الكائدين وحقد الحاقدين مهما كتب المستشرقون وغيرهم لن ينالوا من عقيدة المسلمين غير الحسرة والندم. وعلى الرغم من ذلك يزداد عداد المسلمين كل يوم مهما كثرت عليهم الضغوط والابتلاءات وهذه من نعم الله على عباده المسلمين ليزدادوا بها إيماناً على إيمانهم.

أهمية الموضوع:

تأتي أهمية هذا الموضوع من منطلق خطورة كتابات المستشرقين عن الإسلام وتشكيك المسلمين فيه، وتحذير غير المسلمين من الدخول في الإسلام. مستخدمين شتى الوسائل والأساليب التي تعمل على صرفهم عن دينهم، وتمنع الداخلين في الإسلام من اعتناقه، وكذلك يعملون على إظهار الدين الإسلامي بأنه لا يهتم بقضايا الإنسان ومصالحه.

أهداف الموضوع:

1. تهدف الدراسة إلى توضيح دوافع المستشرقين وخططهم.

[1] سورة الحجرات، الآية: 9

2. أن يعلم المسلم المعاصر خطورة استهدافه في عقيدته ومحاولة صرفه عنها.
3. أن يعرف المسلمون أن السنة النبوية المطهرة هي المصدر الثاني للتشريع.
4. إثبات أن الإسلام ما جاء إلا لإصلاح حال البشرية وإرشادها إلى ما فيه خير الدارين، وليس فيه جوانب سالبة يكملوها البشر.

منهج البحث:

المنهج المتبع هو المنهج التاريخي والتحليلي والوصفي القائم على بسط الحقائق من مظانها ثم استخراج النتائج

دوافع المستشرقين للطعن في عقيدة المسلمين

تعريف الاستشراق لغة: أشرقت الشمس شرقاً وشروقاً.طلعت أشرقت الشمس طلعت وأضاءت على الأرض[1].

وجاء في القاموس المحيط (لاشرقية ولا غربية)[2] أي لا تطلع عليها الشمس عند شرقها فقط، لكنها شرقية غربية تصيبها الشمس بالغداة والعشي، فقد أنضر لها وأجود لزيتها[3].

[1]د.إبراهيم أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث الربي، بيروت، الطبعة الثانية، ج 1، ص: 286

[2]سورة النور، الآية 34

[3]مجد الدين محمدين يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1993،ص 1655

مصطلح الاستشراق وما يتصل به نحو مستشرق يعد من التسميات الحديثة وإن كان مدلولها غير حديث – كما يظهر لنا عند الإشارة إلى نشأة الاستشراق وتاريخهلأن لفظة استشراق ومشتقاتها مولودة استعملها المحدثون مترجمة من كلمة ORIENTALSIM ثم استعملوا من الاسم فعلاً، فقالوا استشراق وليس في اللغات فعل مرادف للفعل العربي، والمدققون يؤثرون استعمال علماء للفظة المشرقيات (بدلاً عن)مستشرقين ويؤثرون استعمال عرباني لدارس العربية مقابلة **ARABIST**، ولكن لفظة استشراق ولفظة مستشرق قد شاعت شيوعاً كبيراً ولا بأس من استعمالها[1].

أما تعرف الاستشراق في الاصطلاح فهو حركة ولدت في هذا العصر الحديث قام بها جماعات من علماء الغرب وهي في ظاهرها حركة علمية يراد بها دراسة التراث الشرقي في معتقداته وأدبه فالغاية من وراء هذا التعريف التعرف على منابت هذا التراث، ومحاولة صرف أهله عنه ليولوا وجوهم شطر الغرب يتعلقوا بركاب حضارته.

المستشرق هو من درس لغة أو أكثر من لغات الشرق كالعربية والعبرية والسريانية أو الفارسية وغيرها ثم درس بهذه اللغة علوم تلك اللغة وكان أغلب المستشرقين قد جاء إلى الإسلام بنية الطعن والتلفيق[2].يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته

[1]إسماعيل على محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الثالثة، 1422هـ – 2000م، ص: 9

[2]المرجع السابق، ص: 143

وأساطيره،ولكنه في العصور الوسيطةكان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين ودراسة العربية لصلتها بالعلم، فبينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغموراً بما تشيعه منابر بغداد والقاهرة من منارات المدينة والعلم، وكان الغرب من بحره إلى محيطه يعمه الجهل الكثيف والبربرية الجموع.[1]

جاء في تعريف الاستشراق في الموسوعة الميسرة بأنه هو ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي التي تمثلت في حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي من خلال الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما.

الاستشراق بالمفهوم الذي شاع بيننا الآن هو تصدي علماء غير مسلمين سواء أكانوا عرباً أو غير عرب لدراسة علومالمسلمينوحضارتهم ومعتقداتهم وتقاليد شعوبهم وعاداتها سواء أكانت هذه الشعوب تقطن شرق البحر الأبيض المتوسط أو الجانب الجنوبي منه، وسواء أكانت لغة هذ ه الشعوب العربية أو غير العربية كالتركية والفارسية أو الأردية أو البشتو وغيرها من اللغات التي تتحدث بها شعوب المسلمين، وكان لها آثار علمية أخضعها المستشرقون للدراسة والتحليل[2].وما سبق نلاحظ أن الاستشراق عملية قديمة بدأت منذ عدة

[1]محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المنارة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1419 هـ – 1989 م، ص: 24

[2]على بن إبراهيم النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض، الطبعة الأولى، 1414هـ – 1993 م، ص: 13

قرون من قوم متعصبين للنصرانية أو اليهودية أشد التعصب، أرادوا أن يعرفوا مصادر المسيحية من اللغة العربية فتعلموا اللغة الغربية لأن العربية قنطرة للعربية، ومن خلال مرورهم من هذه القنطرة عملوا علىتشكيك المسلمين في دينهم فأخذوا فقدموا الدراسات والبحوث التي تطعن في القرآن الكريم وتشكك فيه وإن لم يسعفهم اللفظ فجاءوابعبارات عائمة لإثارة الشكوك.

المقصد لأول: هو معرفة اللغة العبرية عن طريق اللغة العربية.

المقصد الثاني: تشكيك المسلمين في دينهم وهو أقوى من الأول وقد وجدوا أنفسهم أحوج إليه.

نشأة الاستشراق:

تحديد المرحلة الزمنية لنشأة الاستشراق من المسائل التاريخية الشائكة، ويؤرخ بعض الباحثين ذلك بغيان الأفكار الاستعمارية على العالم العربي الإسلامي، يعدونه مدخلاً للقوات الاستعمارية العسكرية أو حملاتهم الحربية وقبيل القرن التاسع عشر، بمعنى أن التغريب الفكري الحضاري لم يسبق الغزو العسكري فحسب وإنما كان المظهر الفكري الذي سهل نفوذه من جهة، والمسوغ لأعماله ولمفاسده من جهة ثانية. ولكن بعض المستشرقين بدأ من القرن التاسع عشر فظهر أول كتاب في قواعد لأيانيس ليدن سنة 1102 هـ – 1613م. وطبع كتاب المجموع المبارك في التاريخ لابن العميد سنة 625هـ مع ترجمة لاتينية، نقل القرآن

الكريم إلى اللغة اللاتينية، وإن أقدم المستشرقين المستعربين (بدكوك) الإنجليزي المتوفي سنة 1102 هـ – 1691 م تلقى العلم في أكسفور ورحل إلى المشرق وأقام في روسيا فترة من الزمن ومن آثاره طبع (كتاب مختصر الدول)[1].

ويمكن القول إن الدارس لتاريخ الاستشراق يلحظ أنه بدأ أول خطواته في رعاية الكنيسة، وأن الجيل الأول من المستشرقين كان من الرهبان والقساوسة، وما زال بعضهم حتى الآن من رجال اللاهوت، وأن روح التعصب والأفكار المنسية والنظرةغير الموضوعية إلى الإسلام هي التي قادت الفكر الاستشراقي عبر تاريخه حتى العصر الحاضر على أن الاستشراق يمكن تقسيمه على النحو الآتي:

المرحلة الأولى: وتبدأ بفتح الأندلس وازدهار الحياة العلمية فيها، وكذلك جزر البحر المتوسط وجنوب ايطاليا، وتنتهي هذه المرحلة بانتهاء الحروب الصليبية.

المرحلة الثانية: تبدأ بعد الحروب الصليبية وتمتد إلى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي.

الرحلة الثالثة: بدأت في منتصف القرن الثامن عشر على وجه التقريب استمرت إلى نهاية الحرب العالمية الثانية.

[1] نذير حلان، الغزو الفكري: المفهوم الوسائل – المحاولات، دار النشر، مكتبة الطائف، ص: 91 –92

المرحلة الرابعة: بدأت بعد الحرب العالمية الثانية، وما زالت مستمرة حتى الآن[1].

لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك، ولكن من المؤكد أن بعض الرهبان قصدوا الأندلس في أبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها وترجموا القرآنالكريم والكتب العربية إلى لغاتهم وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم، خاصة في الفلسفة والطب والرياضيات.ومن أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسي (جربرت) الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام 999م بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده، وبطرس المحترم 1092 هـ – 1156م وجيرار دي كريموت، 1114هـ – 1187م [2] .

بدأ الاستشراق منذ سنوات الفتح العربي الإسلامي لأوروبا الغارقة في ظلمات الجهل والتخلف الحضاري، حيث أخذت تبحث عن أسباب نهضة المسلمين ومن هنا وجدنا أن بعض رجال الكنيسة في أوروبا أخذوا يدرسون العلوم على أيدي العلماء العرب المسلمين.وبعد فشل الحروب الصليبية في السيطرة على العالم الإسلامي، أخذ قادة أوروبا يعدون لغزو جديداً وكان على المستشرقين دور كبير في التمهيد لهذا الغزو فاتجهت الدوائر الاستعمارية إلى إعداد عدد من المتعلمين في بلادها للتفرغ للدراسات الشرقية في اللغة والدين والاجتماع

[1] محمد الدسوقي، الفكر الاستشراقي: تاريخه وتقيمه، دار الوفاء للطبعة ولنشر، المنصورة، الطبعة الأولى، 1415 هـ –1995م، ص: 19 –20

[2] إسماعيل على محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ص: 14

والسياسة وغيرها. ثم أسست المعاهد والجمعيات للمستشرقين واهتموا بنشر المخطوطات العربية ووضع الفهارس الشاملة لها ومن خلال ذلك عملوا على خدمة أهدافهم المشبوهة.ولكن بعد أن أخذت تتكرر أوروبا العلم والحضارة من المسلمين وحاربت بهم الجهل والتخلف تتكرر اليوم على المسلمين فاعتبرتهم عدوها الأول[1].

دوافع الاستشراق:

للاستشراق دوافع عدة نجملها في الآتي:

الدافع السياسي: لقد برز هذا الدافع مع بداية استقلال البلدان الإسلامية عن الاستعمار الغربي، وتجلى أكثر عندما رجعت جيوش المستعمرات إلى بلادها وانجلت نهائيا عن الدول الإسلامية ففي كل سفارة من سفارات الدول العربية جعلت هذه الدول سكرتير أو ملحقاً ثقافياً يحسن اللغة العربية ليتمكن من الاتصال برجال الفكر وأصحاب السياسة فيتعرف على أفكارهم، ويبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته، وكثير ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير في الماضي حيث كان السفراء الغربيون ولا يزالون في بعض البلدان العربية والإسلامية يبثون الدسائس للتفرقة بين الدول العربية والإسلامية بحجة توجيه النصح بعد أن درسوا تماما نفسية كثير من الزعماء في تلك البلاد.فالدول

[1]نبيلة عبدالرحمن المحيش، الغزو الفكري للعالم الإسلامي، مكتبة النور للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1412هـ، ص: 8 –9 (بتصرف)

العربية تظل دائما بحاجة إلى مشورة المستشرقين والاسترشاد بآرائهم ونصحهم عند رسم سياستها الخارجية في بلاد الشرق الإسلامي.

كثير من الدول العربية حكامها، بل تحكم من السفارات الأجنبية ولا يمكن اتخاذ القرارات إلا بعد المشاورة مع ممثلي تلك السفارات [1].في الحقيقة أن من يعملون في السفارات الغربية الموجودة في الدول العربية والإسلامية ما هم إلا رجال استخبارات مهمتهم التجسس لصالح دولهم،والتعرف على ما الدول من خيرات وطريقة الوصول إليها ومعرفة أماكن الضعف والقوة ورسم الخطط التي تناسب دولهم للتدخل في شؤون تلك الدول.

إن النفسية الغربية الكارهة للإسلام المتخوفة من عودة سلطانه لم تزل باقية، ويرى الغرب في الإسلام عدوا لدوداً يهدد حضارته الغربية بقدرته على الانتشار بما يملكه من نظرة كلية متكاملة للكون والإنسان والحياة نظرة مستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وأن الغرب مايزال يتبنى بقوة إشاعة الأفكار والتوجهات التي تضعف من تماسك المسلمين مثل الدعوة إلى القوميات والترويج للعلانية في البلاد الإسلامية.

الدافع الاقتصادي:

حيث يهدفون في دراساتهم إلى السيطرة على أسواق العالم العربي والتحكم في مؤسساته المالية المختلفة واستغلال موارده الطبيعية وجعل بلاد المسلمين بلاداً

[1]إسماعيل على محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، مرجع سابق، ص: 69 –70 (بتصرف)

مستهلكة لمنتجاتهم[1]. وبذلك يسهل لهم التحكم في مصير الدول والأنظمة الحاكم يستغلون الجانب الاقتصادي ليكون أهم كرت ضغط على الدول سواء أكان في مجال الإمداد بالقمح وغيره من السلع أو المال، وبهذه الوسائل المتعددة يعملون على إضعافالأنظمة ومن ثم تقع هذه الأنظمة تحت قبضتهم.

إذا نظرنا إلى العالم العربي اليوم نجد هذه السياسات ماثلة فيه، وعندما يريد مجلس الأمن مناقشة قضية العراق مثلاً يقوم كبار الساسة الأمريكان بالجولات الماكوكية على الدول العربية وغيرها من الدول لإقناعها بعدم معارضة المشروع الذي تريد طرحه لمجلس الأمن والدول التي ترفض الفكرة يهددونها اقتصاديا بقطع المعونات أو غير ذلك من الوسائل الاقتصادية. وهكذا يبرز نجاح الدافع الاقتصادي في الضغط على الشعوب.

الدافع الديني:

وقف الباحثون من المستشرقين على الواقع والأسباب التي كانت وراء الاهتمام باللغة العربية وعلوم الدين الإسلامي وسيرة الرسول ﷺ، فمنهم من وزع الدوافع إلى مجموعة غير يسيرة، ومنهم من ركز على أن الدافع الرئيس هو الدافع الديني، يقول محمد البهي "السبب المباشر الذي دعا الأوربيين إلى الاستشراق هو سبب ديني في الدرجة الأولى، فقد تركت الحرب الصليبية في نفوس الأوروبيين ما تركت من آثار مرة عميقة وجاءت كلمة الإصلاح الديني المسيحي فشعر المسيحيون بروتستانت وكاثوليك بحاجات ضاغطة لإعادة

[1] نبيل عبدالرحمن المحيش، الغزو الفكري، مرجع ابق، ص: 11

النظر في شروح كتبهم الدينية، ولمحاولة تفهمها على أسس التطورات الجديدة التي تمخضت عنها حركة الإصلاح والمستشرقون اليهود أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية وهي محاولة إضعاف الإسلام وتشويهه وتشكيك في قيمه بإثبات فضل اليهودية عليه وادعاءات أن اليهودية هي مصدر الإسلام الأول [1].

الدافع العلمي والشخصي:

إذا كانت رحلات المستشرقين وإنتاجهم الفكري بدافع سياسي واستعماري. فهناك قلة منهم تحرروا نوعا ما من دوافعهم الاستشراقية، فقد حققت لهم رحلاتهم فائدتين الأولى تزويدهم بالمعلومات النظرية والدراسات السابقة بالمعاينات الواقعية ومحاولة الموازنة بينهما، وكتابة مذكرات مقتضبة أو مفصلة عن تطور الأحداث والآثار المادية والمعنوية وقد حققت لهم ولاتهم العلمية الاتصال بالمراجع البحثية وبما تبقى من ذخائر التراث في المكتبات الإسلامية، ثم دراسة الأحوال الاجتماعية وما تشمله من المآسي والبؤس الذي خلفه الاستعمار ومعايشة بعض الأجواء الروحية التي افتقدوها في العالم المادي ونتيجة ذلك دخل كثير منهم في الإسلام، وعرف عن بعضهم حسن إسلامه فتحوا بيوتهم للدعوة إليه وعملوا على إصدار مؤلفات ودراسات كانت لها أصداء حسنة بوجه عام، فمنها الإسلام على مفترق الطرق، وسمى نفسه محمد أسد وكان اسمه ليوبولد فايس النمساوي وتوفي سنة 951م[2] .ثم ناصر

[1] الشيخ أحمد بشير، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، بحث مقدم لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود، ص: 33 –35

[2] نذير حمدان، الغزو الفكري المفهوم الوسائل والمحاولات، مرجع سابق، ص: 99

لدين وكتابه " محمد رسول الله "وأشعة من نور الإسلام وكان اسمه أتيني أرينيه الفرنسي.

من المعلوم أن الدين الإسلامي دين حقائق، كل إنسان بحث في الإسلام وكان غير مؤمن به وقصد الحقيقة العلمية والعلمية اهتدى وآمن بالدين الإسلامي لأنه دين حقائق.

أخذت أقطار العالم الإسلامي تخضع فعليا لدول أوروبا وتسقط في قبضة الغرب واحدة تلو الأخرى حتى جاءت الحرب العالمية الأولى 1914 م – 1918م التي انتهت بهزيمة تركيا وحلفائها حتى سنحت الفرصة الكاملة لأقوى شعوب أوروبا كإنجلترا وفرنسا و إيطاليا فوضعت يدها على هذا الميراث الضخم من أمم الإسلام وشعوبه وبسطت سلطانها عليها بأسماء مختلفة من احتلال واستعمار ووصاية وانتداب[1].

الدافع التجاري:

الشرق غني بموارده الاقتصادية فقصده الغربيون سعيا وراء الحصول على هذه الخامات وتصنيعه وتغليفها والاستفادة منها وتصديرها إلى الشرق مرة أخرى. وفي سبيل الحصول على هذه المبيعات قامت الدراسات الثقافية والاجتماعية وغيرها من الدراسات التي دفعت إليها الحاجة إلى استغلال الموارد الطبيعية لهذه البقعة من العالم، وشجع على هذا عدم استغلال هذه الموارد وعدم توافر

[1]أباطيل وأسمار، محمد محمود شاكر، رسالة بين الأس واليوم، الإمام الشهيد حسن البنا، ص: 54

الدراسات السابقة حولها فاتجه التجار وأرباب الاقتصاد إلى المستشرقين يبعثوهم إلى الشرق ويستعينون بهم في طرق أبوابه، فنجد الاستشراق من الناحية الاقتصادية خدمة غير يسيرة وساعد مساعدة بارزة على النهضة الصناعية التي عاشتها البلاد الأوربية.

ولا زالت أوروبا تستفيد من الشرق من الناحية الصناعية والتجارية وهي تتحرك ببترول الشرق وخامه. وبسبب الخام والنفط تحركت الولايات المتحدة الأميركية بدون إذن من مجلس الأمن لضرب دول عضو في مجلس الأمن بدعاوي مكذوبة مكشوفة لكل العالم واحتلت العراق ليس القصد من ذلك أسلحة الدمار الشامل، لأن أمر الأسلحة قد حسمته فرق التفتيش التي تعاقبت على العراق منذ العام 1992م إلى لحظة الضربة أو في آخر تقرير لفريق التفتيش أثبت خلو العراق من الأسلحة وعلى الرغم من ذلك ضرب العراق وهو الآن محتل والدافع من وراء ذلك هو البترول وليس غير ذلك وحتى الآن العراق يعيش في شبه احتلال وعجزت أمريكيا وبريطانيا من أن تثبتا للعالم أنهما وجدتا أسلحة في العراق[1].

وسائل الاستشراق:

لقد سلك المستشرقون طريق ظنوه موصلاً لغاياتهم ومحققا لأهدافهم فعقدوا المؤتمرات وألفوا ونشروا الكتب وأصدروا الموسوعات والدوريات ودرسوا في الجامعات وهنا نلقى الضوء على بعض وسائل الاستشراق:

[1]على إبراهيم النملة، الاستشراق ي الأدبيات لعربية، مرجع سابق، ص: 37

1. ولا يخفى أن للكتاب دور كبيراً في نشر المبادئ وإشاعة الأفكار وهو وسيلة قديمة لم تستطع المخترعات الحديثة في مجال الاتصال التقليل من خطورتها ودورها الفعال في ترويج ونشر الثقافات ومن هنا اهتم المستشرقون بهذه الوسيلة الفعالة فعكفوا على تأليف الكتب وإصدار الموسوعات وإخراج المعاجم حتى صار لهم إنتاج ضخم وسيل متدفق من الكتب والموسوعات التي تحل أفكارهم وخلاصة آرائهم بشتى اللغات الأجنبية[1].

2. وأصدروا المجلات التي تحوي بحوثهم المشبوهة ونشر المقالات في الصحف المختلفة وللكلمة المكتوبة في المجلات والمقالات التأثير البالغ في عقول الناس فيصدقونها وبالتالي يرسخ مفهوم كاتب المقال ونواياه في وجدانهم وإن كانت خير فخير و إن كانت شر فشر، وعليه اليوم نرى خطورة الإعلام بمختلف مسمياته وتأثيره في عقول الناس

3. **التدريس:** هو فرصة طيبة لبث أفكارهم وسط الطلاب من خلال التدريب وعرض آرائهم سواء أكانت بصورة مباشرة أو غير مباشرة ويعتبر التدريس مجالا خصبا لهم.

4. **دور النشر:** إذا كانت للكتاب أهمية كبرى باعتباره وسيلة هامة وفعالة لنشر المعارف والمعتقدات فإنه في عصرنا الحاضر لا غنى له عن دار النشر التي تتولاه فتقوم على إعداده وتجهيزه فنياً والترويج له وتوزيعه في الأماكن والبلدان المختلفة وإلى غير ذلك مما تقوم به دور النشر في الوقت الحالي وما تتطلع به من مهام تسهم في نجاح الكتاب وتحقيق الأهداف المرجو من وراء تأليفه.

[1] إسماعيل على محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ص: 79، مرج سابق

وأكثر الدور ترويجاً لأبحاث وكتب المستشرقين عن الإسلام والمسلمين نجدها في باريس وهي دار ارسنت رو معروفة بنشر المطبوعات الاستشراقية من كتب ومجلات ونشرات ودار هنرى فلتر.

المستشرقون والطعن في حقيقة الإسلام:

قالوا عن الإسلام إنه تطور محرف لليهودية والنصرانية أو جزء من مجموعة الأديان الشرقية تولد من احتكاك الوثنية بأديان فارس والهند.

يقول المسينور كولي في كتابه (البحث عن الدين والحق) يقول فيه " برز في الشرق عدو جديد هو الإسلام، يقوم على أسس من القوة، وأم على أشد أنواع التعصب. ولقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات في الجنة. وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى وإسبانيا وأفريقيا فريسة له حتى إيطاليا هددها الخطر وتناول الاجتياح نصف فرنسا ولقد أصيبت المدنية. ها هي النصرانية تضع سيف شارل مارتن سداً في وجه سير الإسلام المنتصر عند بوابته ثم تعمل الحروب الصليبية في مدى قرنين تقريبا، في سبيل الدين، فتدججت أوروبا بالسلاح وتنجي النصرانية. وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب وانتصر الإنجيل على القرآن وعلى ما فيه من قوانين الأخلاق السازجة"[1].

[1] سفر عبدالرحمن، العلمانية: نشأها وتطورها في الحياة الإسلامية المعاصرة، ص: 544

1. ويقول المسموكيمون في كتابه "فسيولوجيا الإسلام" إن الديانة المحمدية جزام فشى بين الناس وأخذ يفتك فيهم فتكا زريعا، بل هو مرض وشلل عام وجنون ذهني يبعث الإنسان على الخمول والكسل بل يوقظه ليسفك الدماء ويدين الخمور.

2. ويجمع في القبائح، وما قبر محمد في مكة إلا عمود كهربائي يبث الجنون في رؤوس المسلمين ويلجأهم إلى الإتيان بمظاهر الصراع الهستيري والذهول العقلي، وتكرار لفظة الله الله إلى ما لا نهاية[1].

وهذا القول مناف لحقيقة القرآن الكريم وتعاليمه التي جاء بها الإسلام والكاتب لا يرف أدنى شيء عن الإسلام وما قاله عن الإسلام وما يدعو له من خمور وأفعال قبيحة كذب وافتراء على الله سبحانه وتعالى. الإسلام حرم سفك الدماء ظلما وحرم شرب الخمر ودعا إلى مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال.

قولهم في القرآن الكريم:

قالوا إن القرآن من وضع محمد صلى الله عليه سلم، وهو من إملاء راهب نسطوري لم يمكث محمد ﷺ على يده فترة طويلة في الشام، ورد عليهم القرآن الكريم بقوله جل وعلا " لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين"[2] أو هو نطق من نسخ التوراة والإنجيل المهجورة وآراء المحدثين من العرب كورقة بن نوفل مع اقتباسات من الحكمة الشعرية ببعض المتأملين الروحانيين كأمية بن أبي الصلت، ثم قالوا إن القرآن بعد وفاة محمد صلى الله

[1] صالح خوفي ومحمد سليم وآخرون، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، مطبعة مكتبة التربية العربي بدول الخليج، ص: 127 – 128

[2] سورة النحل، الآية: 103

عليه وسلم كان موزعاً بين بعض الصحابة وفي العظام والجلود ومات الحفاظ ووجد المسلمون أن الضرورة تقتضي جمع القرآن فاجتمعوا، كما يجتمع رجال اللاهوت، وأحضر كل واحد منهم ما كان في حوزته منه، واتفقوا على تنظيمه وتبويبه لكنهم تشاجروا فجاءت النسخة المعتمدة غير متحدة المواضيع ولا متناسقة في مواضع كثيرة وأخيرا فرضت السلطة الحاكمة نسخة معينة وأحرقت كل النسخ المخالفة بدون مسوغ، نتيجة لذلك جاءت غير متناسقة.

قالوا في تفسير قوله تعالى "وإليه المصير"[1]. إن إله الإسلام جبار مترفع، بينما إله المسيحية عطوف متواضع برز في صورة إنسان، وهو الأب الإله، فعقيدة التثليث المسيحية قربت الإنسان من الإله، وعقيدة التوحيد الإسلامية باعدت بينهما وجعلت الإنسان خائفاً متشائماً[2].

قولهم في النبي ﷺ:

يزعم مير جليوث صاحب "نظرة الشك في الشعر الجاهلي المولى عزو جل" التي أخذ بها طه حسين في كتابه في الشعر الجاهلي، إن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يعرف والده إذ إن عبدالله اسم يضاف إلى مجهول النسب. وهذا القول من أعداء الإسلام ليس غريباً لأنهم كذبوا كلام الله، وهو القرآن وأنكروا وحدانية المولى عز وجل" كان من الطبيعي أن يقولوا إن الرسول ﷺ مجهول

[1] سورة المائدة، الآية:18

[2] صالح خوفي، ومحمد سليمة، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، ص: 30 م

الأب تحقيراً وازدراء له وهم يعلمون أن العرب أكثر الناس ذكاء في علم الأنساب.

كما كان الكفار يكذبون الرسول ﷺ وهم يوقنون بأنه صادق لا يكذب، وعندما وقف ذات يوم وسطهم وقال لهم لو قلت لكم إن خيلاً وراء هذا الوادي تريد أن تغير عليكم، هل انتم مصدقي ؟ قالوا نعم ما جربنا عليك كذباً. وعندما قال لهم إني رسول الله ﷺ بين يدي عذاب شديد، قال أبو لهب: في نبي الإسلام تأثير فيمن حوله تباً لك! ألهذا جمعتنا، وكانوا يسمونه الصادق الأمين.

وانقسم المستشرقون المعاصرون من موقفهم من الرسول ﷺ أربعة أقسام:

فريق يؤمن بأن محمداً ﷺ صادق قولاً وعملاً وأنه أوحي إليه حقاً وهؤلاء عدد قليل جداً وليس لرأيهم في نبي الإسلام تأثير يذكر بين قومهم بل قليل منهم إن لم يكن كلهم قد تعرض في بيئته لمضايقات أو حروب في رزقه بسبب شجاعته وصدقه مع نفسه.

فريق يؤمن بأن محمد ﷺ صادق قولاً وعملاً ولكن كان يخبر بما قيل إنه رآه أو سمعه وهو في حالة غيبوبة. فريق يعتقد أن محمدا ﷺ جمع مأثورات يهودية ومسيحية وأساطير دينية قديمة، روايات شعبية شفوية ثم نشرها في قومه على أنها وحي من عند الله وعذره أمام ضميره أن هذا الذي جمعه يرشد أولئك القوم الفوضويين ويهديهم إلى الصراط المستقيم، يجمع تفرقهم ويخلق فيهم الوحدة والتماسك أي أنه يؤمن بفكرة الغاية تبرر الوسيلة فهو مصلح

العرب ومنظمهم الأكبر وليس نبيهم الموحى إليه من عند الله تعالى. أما الفريق الرابع فيقف من محمد ﷺ موقف المرتاب أو الجاحد المتكبر.[1]

طعنهم في السنة:

قالوا إن محمدا ﷺ في حياته يعد كل ما يتكلم به قرآنا، وبعد موته ونشوب النزاع السياسي بين المسلمين احتاجت الأطراف المتنازعة إلى تأييد آرائها، وإذا لم لم تجد ما يؤيدها به من القرآن الكريم نسبت كل فرقة إلى محمد ﷺ أقوالاً كثيرة لصالحها، ومن مجموع هذه الأقوال كتب علماء المسلمين بعد ثلاثة قرون أي بعد أن يكون كل شيء قد ضاع واختلط كلياً سميت كتب الحديث والسنة وألزموا المسلمين بالإيمان بها كالقرآن، فاعتقد المسلمون باستثناء اليسار طبعاً وسموا أتباعها أهل السنة تمييزاً لهم عن اليساريين ثم يعمدون إلى النقد المفصل للسنة فيطعنون في كبار حفاظها كأبي هريرة والزهري ويقولون إن بض الشخصيات كعروة بن الزبير الذي يروي عن خالته السيدة عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين شخصية خيالية [2].

ومن المجمع عليه بين المسلمين أن السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي فلم تكن مهمة الرسول ﷺ مقصورة على البلاغ إنما كانت إلى جانب تفسير ما يحتاج من آيات الكتاب العزيز، فهي أشبه ما تكون بالمذكرة التفسيرية بالسنة بالقانون توضح مقاصده وتشرح أصوله وقواعده.

---

[1] الفكر الاستشراقي: تاريخه تقويمه، محمد دسوقي، ص: 83

[2] سفر عبدالرحمن الحربي، العلمانية نشأتها وتطورها، مرجع سابق، ص:547

وقف المستشرقون من السنة النبوية موقفاً لا يقل مجافاة للمنهج عن موقفهم عن القرآن الكريم، فهم قد حاولوا أن يثبتوا أن المسلمين على اختلاف طوائفهم ساهموا في الوضع على الرسول ﷺ ونسبة الأحاديث كذباً إليه، وأن الأهواء والمنافع والاختلافات السياسية والمذهبية كانت من وراء حركة الوضع لأن تفرق المسلمين بعد الفتنة الكبرى وظهور الأحزاب المختلفة نجم عنه صراع الافتراء انتصاراً بالاتجاهات المتباينة والآراء المتعارضة ويكاد يجمع المستشرقون على أن السنة لم تعرف التدوين إلا في القرن الثاني وهذا يعني أنه لم يكن هناك تدوين في القرن الأول لا في حياة الرسل ﷺ أو في حياة الصحابة رضي الله عنهم وأشهر المستشرقين وأكثرهم كلاماً في السنة جولدتسهير وشاخت[1].

كتب المستشرقون عن الإسلام والرسول ﷺ الكثير ظنا منهم أنهم سيوقفون رسالة الإسلام، ولكن رسالة الإسلام ماضية في طريقها ويزداد عدد الداخلين في الإسلام يوماً بعد يوم بتفكيرهم في مخلوقات الله سبحانه وتعالى ومواقف اكتشافاتهم العلمية لما قاله القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً من الزمان من حقائق علمية دقيقة ذلك الفضل من الله تعالى.

ولم يعلم الكائدون والحاقدون بأن الرسول ﷺ عندما انتقل إلى الرفيق الأعلى سبحانه وتعالى أن الرسالة السامية اكتملت وكل قضايا البشرية عالجها التشريع ووضع الحلول الناجعة والسنة المطهرة مدونة ومحفظة.

[1] محمد دسوقي، الفكر الاستشراقي: تاريخه وتقويمه، مرجع سابق، ص: 104

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والذي بيده الكمال والصلاة والسلام على الرسول ﷺ، فقد تناولت في هذه الوريقات المستشرقين ودوافعهم الشريرة التي لا تزيد الإسلام إلا قوة وتمسكاً بدينهم لينصلح حالهم في الدارين. وهذه الدوافع لا تريد أن تحيد بهم عن إتباع رسولهم الأمين الذي يهديهم إلى الصراط المستقيم ولقد خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

لم يتعلم المستشرقون اللغة العربية لأنها لغة القرآن وبها نزل وبها يفهم القرآن، بل أرادوا تشكيك المسلمين في دينهم.

تطاول المستشرقون على الرسول ﷺ ونسبوا إليه أشياء ما سمعنا بها عنه.

هدف المستشرقون إلى إفساد المجتمعات.

لم يعترف المستشرقون بالقرآن الكريم بأنه من الله سبحانه وتعالى، بل قالوا هو من صنع الرسول ﷺ.

التوصيات:

- على المسلمين التمسك بدينهم الذي هو من عند الله سبحانه وتعالى.
- على علماء المسلمين التصدي لكتابات أعداء الدين الإسلامي والأمة الإسلامية.
- يجب أن فهم الأعمال التي يقوم بها أعداء الإسلام باسم الأعمال الخيرية الغرض منها ليس الخير وإنما الهدف منها صرف المسلمين وصدهم عن الدين الإسلامي.
- علي المسلمين أن يعلموا بأن الدين الإسلامي فيه خير الدنيا وسعادة الآخرة.

المراجع:

- ❖ إبراهيم أنيس، وآخرين، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ج1، ب.ت.
- ❖ إسماعيل محمد علي، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 1419 هـ.
- ❖ سفر عبدالرحمن العلمانية نشأتها وتطورها في الحياة الإسلامية المعاصرة، دار مكة للطباعة ودار مكة للطباعة وللنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ب.ت
- ❖ صلح خوفي، محد سليم وآخرون، مناهج المفسرين في الدراسات العربية والإسلامية، مطبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1985.
- ❖ على إبراهيم النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، مركز الفيصل للبحوث، الرياض، الأولى 1993م.
- ❖ لشيخ أحمد بشر، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ،بحث مقدم لمؤتمر الفقه الإسلامي المنعقد في جامعة الإمام محمد ابن سعود، ص: 33 –35
- ❖ مجدالدين يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثالثة، 1993.
- ❖ محمد الدسوقي، الفكر الاستشراقي، تاريخه وتقويمه، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصور الطبعة الأولى، 1999م.
- ❖ محمد عزة إسماعيل، التبشير الاستشراق أحقاد وحملات على الرسول ﷺ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ب.ت.
- ❖ محمد محمود شاكر، أباطيل زأسمار، رسالة بين الأمس واليوم، الإمام الشهيد حسن البنا، ب.ت
- ❖ محمود حمدي رحمة زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري المنار، القاهرة، الطبقة الثالثة، 1993م.

❖ نبيل عبدالرحمن المحيش، الغزو الفكري للعالم الإسلامي، مكتبة النور للنشر والتوزيع، 1412هـ.